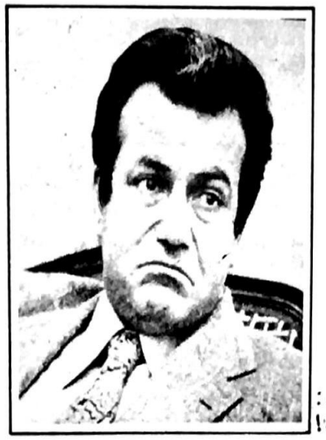

ابو اللطف : ظاهرة جديدة !

مشروع جديد يمهّد لاعتراف فلسطيني غير مباشر بأسرائيل

▪ لماذا مرّ اللقاء الفلسطيني - الاسرائيلي الأخير مرور الكرام ؟

لم يكن اللقاء الذي تم في اوروبا مؤخرا بين « ممثلين » عن منظمة التحرير الفلسطينية وسياسيين اسرائيليين هو اللقاء الاول من نوعه ، كما انه لم يكن المؤشر الوحيد على محاولات جادة تبذلها اطراف قيادية في منظمة التحرير لتعبيد الطريق نحو مشاركة فلسطينية رسمية في تنفيذ مشاريع التسوية في المنطقة . وقد اصبح من الواضح ان الاشهر القادمة ستشهد جهدا مركزا لتهيئة اذهان الجماهير الفلسطينية والعربية لتقبل فكرة « الاعتراف المتبادل » تمهيدا لازالة العقبة الاساسية من امام التسوية السياسية .

ساهمت اجهزة الاعلام الفلسطينية والعربية والدولية في طمس اخبار اللقاء الذي تم في باريس بين وفدين احدهما فلسطيني والاخر اسرائيلي . وقد شارك من الجانب « الفلسطيني » كل من الدكتور عصام السرطاوي ، الزعيم السابق « للهيئة العاملة لتحرير فلسطين » ، التي اختفت من الوجود بانضمام السرطاوي الى حركة فتح ، وصبري جريس ، الذي يدير في دمشق مركزا للابحاث في الشؤون الاسرائيلية ، وكان من اوائل الداعين في العام الماضي الى الغاء سلاح المقاومة والعمل باتجاه « التعايش » مع العدو الصهيوني . واشارت المعلومات كذلك الى اشتراك سعيد حمامي ، مندوب منظمة التحرير الفلسطينية في لندن ، والذي كان في طليعة الذين تولوا الدعوة لاقامة « الدويلة » الفلسطينية بعد حرب اكتوبر ، واوكلت اليه مبكرا مهمة ترتيب الاتصالات مع جهات اوروبية لاقناعها بتاييد فكرة « الدويلة » المعروفة .

وكانت مصادر « فلسطينية » في باريس وفي بيروت قد حاولت « التقليل » من اهمية الاجتماع المذكور ، ونفت ان يكون سعيد حمامي قد شارك فيها لانه كان في حينها في بيروت ، اما الوفد الاسرائيلي فقد ضم اربعه من السياسيين على رأسهم النائب في الكنيست « مائير بيل » الذي اخبر مراسل مجلة الديوزويك الاميركية اثر عودته الى القدس « اعتقد اننا نشهد الان اشارات لنهج فلسطيني معتدل وعملي تجاه اسرائيل ، ربما ليس اسقاطا كاملا لهدف (الفلسطينيين) انشاء فلسطين علمانية ديمقراطية ، ولكن (سنشهد) علامات غير مباشرة بان منظمة التحرير الفلسطينية تعترف بوجود اسرائيل وانها من الممكن ان تقبل بكيان مستقل على الضفة الغربية وغزة » .

وكان رابين ، رئيس الوزراء الاسرائيلي ، قد اكد خبر اللقاء بشكل غير مباشر حين اعلن يوم الاحد الماضي بعد جلسة عقدتها حكومته بان الاتصالات كانت « مخالفة لموقف الحكومة الاسرائيلية في هذا الصدد » . واضاف ان هذه الاتصالات قد تمت دون ا ن تخطر الحكومة بها ، وبالاحرى دون ان توافق عليها .

▪▪ تمهيد في باريس

ان محاولة التقليل من اهمية هذه الاجتماعات او نتائجها لا يغير شيئا في حقيقة انها جمعت بين افراد يتمتعون بمواقع رسمية وقيادية داخل منظمة التحرير وفصائل المقاومة وبين سياسيين صهاينة ، وذلك بهدف البحث عن مواقع مشتركة، وكانت سبقت هذه الاجتماعات لقاءات تمهيدية متعددة جرت في اماكن مختلفة بدأت مع الاميركيين لتنتهي في اللقاء مع الاسرائيليين ، الذي مهدت له اجتماعات تمت في باريس في العام الماضي بين الدكتور السرطاوي من جهة ومندوبين عن منظمة « ماتس بن » الاسرائيلية اللاصهيونية من جهة اخرى .

وقد شهد شهر شباط - فبراير ١٩٧٥ اجتماعا في باريس حضره الدكتور السرطاوي الذي قدم نفسه لمندوبي ماتس بن على انه مسؤول عن الاتصال مع الاسرائيليين ، وعرض خلاله على ماتس بن التوقيع على بيان مشترك يؤيد قيام « الدويلة الفلسطينية » وجدد عرضا كان سعيد حمامي قد قدمه قبل ذلك بعام واحد ، بأن يكون لماتس بن ثلاثة مقاعد في المجلس الوطني الفلسطيني !!

واذا كان من الطبيعي ان تسعى القوى الوطنية الفلسطينية الى اللقاء مع القوى اللاصهيونية لتعزيز فرص العمل المناهض للصهيونية العنصرية والفاشية وللبحث في سبل لتطوير آفاق النضال من اجل مجتمع ديمقراطي في فلسطين المحررة ، الا ان ذلك يختلف تماما ، عن استخدام هذه اللقاءات كمحطة للقاء العناصر الصهيونية الممثلة في البرلمان الاسرائيلي حتى ولو كانت تنتمي الى ما يدعى بمعسكر « الحمائم » .

وفي سبيل التمهيد لاختزال الاهداف المعلنة للشعب الفلسطيني في هذه المرحلة الى حدود « كيان سياسي » مصغر فوق الضفة الغربية والقطاع ، لجأت قيادة منظمة التحرير منذ فترة طويلة لاعتماد سياسة معينة وعامة بانتظار تطورها ، الى موقف معلن ومحدد له فرصة الاتفاق في اطار علاقات الصراع في المنطقة ، وفرصة كسب تأييد داخلي الى الحد الذي يتيح له الدعم والاستمرار .

وقد اعطت نتائج حرب تشرين - اكتوبر ١٩٧٣ المجال المناسب لتطوير مثل هذا الموقف ودفعه الى الامام ، وذلك استنادا الى رغبة ودعم الانظمة المنطقة التي دخلت فعلا مرحلة التعايش مع العدو الاسرائيلي ، معتمدة على ضرورة واحكانية تطوير موقف في م.ت.ف. يدعم سياسة التعايش ويسرع فيها القبول المتمثل برفض الشعب الفلسطيني والجماهير العربية لفكرة التخلي عن الجزء الاكبر من الوطن الفلسطيني ، وانهاء الكفاح المسلح .

▪▪ المواقف المتدرجة

والوصول الى موقف منسجم مع ميزان القوى الرجعي في المنطقة الذي افرزته حرب تشرين عمدت قيادة المنظمة حتى الان الى :

● رفض اعلان موقف صريح ومحدد تجاه مشاريع التسويه المطروحه وابقت الباب مفتوحا امام اتخاذ قرار بالمشاركه في تحقيق التسويه ، حتى بعد ان اصبح واضحا ان المشروع الوحيد القابل للتنفيذ هو المشروع الاميركي الحائز على الرضى الاسرائيلي .

● العمل بشتى الوسائل على عدم قطع الصلة بالانظمه العربية التي تعتبرها مؤثرة على شكل القرار المتعلق بكيفيه التمثيل الفلسطيني في اطار التسوية . (مثل النظام المصري والنظام السوري رغم دور الاخير التصفوي الدموي وتآمره على المقاومة الفلسطينية في لبنان) واما الاستثناء النسبي الوحيد فكان صراع قيادة المنظمة مع النظام الاردني الذي نزع اساسه السياسي وبقي في اطار التنافس على التمثيل « الفلسطيني » في التسوية ...

▪▪ برنامج اوروبي

وفي بيروت ذكر فريد الخطيب وهو صحفي مقرب من اوساط قيادية في م.ت.ف. ان «مصادر اوروبية » قد وضعت بالفعل برنامجا يستهدف « الاعلان عن حق الاسرائيليين لادارة شؤونهم بحرية في مناطقهم من فلسطين » . ونقل المقال الذي نشر قبل اسبوعين في مجله «موندای مورننغ » الناطقة بالانكليزية ، عن مدير احد مكاتب م.ت.ف. في اوروبا (سعيد حمامي - الهدف) الذي احضر المشروع ، ان هذا الاعلان يمكن ان يتم على لسان رئيس م.ت.ف. من على منبر الامم المتحدة ، بعد ان يتضمن « نداء الى الفلسطينيين بألا يصروا على استعادة كل فلسطين » ، اي ان يكتفوا بالمناطق التي يدعو النداء اسرائيل الى الانسحاب عنها وهي « الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة وممرات تربطها ببعضها البعض » .

ويستهدف المشروع اساسا فتح « الطريق المسدود » الذي وصل اليه مؤتمر جنيف بسبب مسألة التمثيل الفلسطيني .

ورغم ان كانت المقال لا يذكر ردود فعل مصادر المقاومة التي تلقت المشروع او نقلته من المشروع نفسه ، ويقلل من فرص دعم مشروع « الدولة الفلسطينية » او « التمثيل الفلسطيني المستقل» في جنيف ، من قبل الانظمة العربيه او الولايات المتحدة الا ان طرح هذه الافكار يتوافق من ناحية الاتجاه والتوقيت مع النتائج التي توصلت الانظمة العربية والولايات المتحدة من الحرب في لبنان : دفع عجلة التسويه الى الامام مواخضاع المقاومة للشروط التي يفرضها الاطار الاميركي المتمثل بالاعتراف المتبادل بين العرب واسرائيل ، والقبول باسقاط المطالب الوطنية الفلسطينية في تحرير كل الارض الفلسطينية .

وفي هذا الاطار جاء تصريح ابو اللطف لوكالة « وفا » يوم الثلاثاء الماضي حين اشار الى « ان معظم من تكلموا في الامم المتحدة من الدول الغربية - وهذه ظاهرة جديدة - كان يصر على اقامة دولة فلسطينية » .. واضاف ان « التأكيد (في الرياض) على قرارات الرباط من جديد كان مثار اهتمام كيسنجر وسياسته الخطوة - خطوة.. وان المصالحة المصرية - السورية .. والدعم العربي الكامل لمنظمة التحرير الفلسطينية بكونها ممثلا شرعيا وحيدا ، قد ابعد كل الشكوك في ان تكون هناك جهة اخرى يمكن ان تتولى التحدث باسم الشعب الفلسطيني » ...

▪▪ اهداف محددة

اذن ، « الدوله الفلسطينيه » و « التمثيل الفلسطيني » ، تنحصر فيهما اهداف الدوائر القيادية في م.ت.ف. ، التي تصبح بطبيعة الحال مهتمة بالتفاصيل الكفيلة باخراج هذين الهدفين الى حيز الوجود : سواء من خلال مشروع السلام (الاوروبي) او التمثيل في مؤتمر جنيف . او . من جهه اخرى في ما يتعلق بترتيب الاوضاع الضاغطة - التمثيلية في م.ت.ف. بما يخدم موقفا قياديا اكثر وحدة وانسجاما مع سياسه التسويه في المنطقة وشروطها ، والخطوه الاخيره تتمثل «بالدعوة» لعقد المجلس الوطني الفلسطيني في القاهره في الشهر المقبل .

ويبرز الى الصوره مباشره مشكله « الرفض » في الساحه الفلسطينيه ، وتوقع لجوء القوى اليمينية في م.ت.ف. الى محاوله تصفيته عسكريا بعد ان اصبح تيارا واسعا اكتسب عمقا فلسطينيا وعربيا واعترافا دوليا متناميا بوجوده وبكونه يعبر عن الاماني الوطنية الحقيقية والراسخة للغالبية العظمى من الجماهير الفلسطينية والعربية .

ويشير فريد الخطيب في مقاله المذكور الى انه اذا ما حاول اليمين الفلسطيني مساعدة الزعماء العرب على تصفية اليسار الفلسطيني الرافض ، فان هذا سينتهي الى موقف يساري على ضوء العروض الاميركية المزرية للشعب الفلسطيني ».

▪▪ اليمين يتحرك

وهكذا ، يبدو ان سياسة الخضوع لموازين القوى الراهنة في الساحه العربية (خصوصا على ضوء انتائج العملية الحالية للحرب اللبنانية) تفسح مجالا واسعا ونشطا لتحرك القوى اليمينية والوسطية لوضع م.ت.ف. ، بخطى حثيثة ، على طريق المشاركة في مؤتمر جنيف والتسوية الاستسلامية وبتر النضال الوطني الفلسطيني ..

ومن المتوقع ان تشهد الساحه جهودا مكثفة تعززها تنظيرات من اليمين ومن « اليسار » ! تعيد الى الذهن اجواء ما بعد حرب تشرين وتعمل على نشر الروح الانهزامية لمعادلة الرفض الوطني والجماهيري الفلسطيني المتوقع في داخل وخارج الشارع الوطني .

وستكون النتيجة الحتمية لمثل هذه الجهود وضع م.ت.ف. خطوة فخطوة تحت الوصاية الكاملة للانظمة الرجعية وشروطها وتصورها للتسوية وتحت رحمة الصيغة النهائية التي سترسو عليها العلاقات الاقليمية في المنطقة في ظل الهيمنة الاميركية .

□□□

وستجد القوى الثورية والوطنية الفلسطينيه والعربيه في هذه الجهود وفي الوضع الراهن مدخلا جديدا لعملها من اجل الحفاظ على الاهداف التاريخية المشروعة للشعب الفلسطيني وعدم اعطاء الفرصة لاجهاض الصراع القومي بين الشعوب العربيه المناضلة ضد الامبريالية والصهيونية وبين اسرائيل كقاعدة استعمارية عنصرية لا تغير التسوية ، مهما كان شكلها ، من طبيعتها شيئا .

■■

▪ مندوب فلسطيني عرض على منظمة "ماتس بن" ثلاثة مقاعد في المجلس الوطني